

النهر القديم

صلاح اللقانى



النهر القديم

شعر

صلاح اللقانى

الديوان . النهر القديم
المؤلف :صلاح اللقانى
كتاب إضاءة ٧٧
الطبعة الأولى : القاهرة – ١٩٩٩
رقم الإيداع :١٥٧٥٥/٩٩
الترقيم الدولى :I.S.B.N
977-5843-12-X



مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع

تليفون: ٥٩٣٧٦٥٠-٥٩٣٧٦٥٤

زفير المدينة

هادئًا ....

أتمطىَّ على مَقْعَد الليلِ

كنتُ،

سوى ثرثرات الرفاقِ،

ونبضةُ ضوءٍ

تُزيحُ العَمَى بُرْهةً، ثم

يَهْوِي سريعا وراءَ

الزجاج، ويأتي خلال الهواءِ

المُبَلَّل بالهمهمات زفيرُ المدينةِ، والعرباتُ

الثقيلة تزحف وسط نشيش المحرِّكِ،

يتحدُ الليلُ

بالخوفِ

بالأغنياتِ البعيدةِ، يَنْفَرِجُ

البابُ عن نسوةٍ عارياتِ

الصدور، يُساعِدُهُنَّ

غُلامٌ صغيرٌ على وضع آلاتهنَّ

ويدخلُ بعضُ الرجال،

وينتشرون خلال الموائدِ ...

قال المُغَنىِّ :

" ينام المساءُ الجميلُ

على مُقْلتيها."

ولكننى لا أُشاهدُ غَيْرَ

المساحيق تكسو انطفاءَ الوجوهِ

بِحُمْرَتها المستعارةِ

مما وراء البحار، ولا يسمعُ

الليل شكوى الصدور التى

ابتذلتها عيون الرجالِ،

ولا يدفع الليلُ

أَجْرَ الحناطير، أو ثمن الكهرباءِ،

فَهُزِّى إذن ....

خَصْرَك الرَّخْصَ، يَسَّاقَطُ

الماء فى الحوضِ

وابنك يكملُ
دَرْسَ اللُّغات الخصوصىَّ

لكنه الليلُ
يلسعنا بالنساءَ الجميلاتِ
بالورق المتطاير فى
هَبَّة الريحِ
بالفكر..
حين يصير ترابا ورملا.

(على شاشة التليفزيون يبدو
مُدَرِّبُ كلب المغنية المستضافةِ)

– أىُّ النساء تُحبُّ ؟ فقلت :
الفتاةَ التى عبرتْ بجوارى
مساءَ الثلاثاءِ
ثم اختفتْ فى الزحامِ،

على بشَعرها
لمعانُ النيونِ
وتلبسُ جُونلةً لونها
أخضر،
وقميصاً رقيقًا يوسِّعُ
دائرة النار مترين حتى
أصلى صلاة المجوسِ.

- تُحِبكَ ؟

قلتُ : تبعثرتُ فوق السؤالِ
شهورا طوالا،
ولكنني..
لست أدرى سوى أنها
عَطَّرتْ إسمها مرةً
وَرَمَتْهُ على
جَدْوَل الرُّوح فانتفضتْ

كالغزال الشريدِ

- تَرَاها؟

فقلتُ : إذا أوحشتنى، خرجتُ
إلى طرقات المدينة علَىِّ
أراها، وأبحثُ فى
أوجه الفتياتِ الجميلاتِ عن
طائر البحر، حتى..
إذا احتَرقتْ خطواتى
انكفأتْ إلى البيتِ مكتئبًا وتعيسًا
فتفجؤنى بالظهور كلمع
الشهابِ، وتتركنى
جسدًا...
مُثْقلاً بالنبوءاتِ،
بالعنب المتساقط من
كَرْمَةٍ،

فى الفراغ الذى يحتويها.

(تقوم المغنيةُ المستضافةُ، تفتحُ
دولابها، كى يشاهدَ عشاقها من
حفاة المقاهى، فساتينها،
ويغطون بالنظرات القوام الجحيمىَّ
واللفتات الرشيقة.)

- لا تبدأوا العَدْوَ نحو الجنون الجميلِ
فعالمنا..
مايزال طريا
نُشكله كالعجينِ
رغيفًا...

- ويأكله المتخمون؟

إذا انكسرتْ مُقْلَةُ الليلِ

يصحو بصدرى غُرابُ العَذابِ

ويشعلُ ..

مصباحَ جُرْحى،

وأشعر بالبرد حين يرفُّ النسيمُ

فأغلقُ شبُاكَ حزنى،

ولكنه الليلُ...

يلسعنى بشموس الجراح الصغيرةِ ،

يكتبنى قصة عن صبىٍّ بكى

حين أدماهُ سَهْمُ

العيون الجميلةِ،

يُنْبِتنى وردة فوق نافذةِ

المستحيل، يُوَقعُ باسمى

على جَبْهَةِ الفرح المستحيلِ.

(لقد عبثوا فى حياتى، ولم

يكتبوا عن غنائى وصوتى،

وقالوا بأنى أصادق بعض الرجالِ.)

- أخى صار مُتَّهمًا بالنظافةِ،

فى آخر الليلِ

جَرُّوهُ فوق البلاطِ،

وألقوا بهِ

فى هدوء عنيفٍ...

إلى جوف سيارة لا تُرَى

فى الظلامِ، وبعد

قليل تصاعد صوت المُحَرِّكِ

ثم تلاشى

خلال ضجيج السكونِ.

- وهل عادَ؟

- ماعاد غير قرارُ الإدانةِ

- هل زُرْتَهُ؟

- زُرْتَهُ فى سجون الجرائدِ
مُعْتَقَلاً ...
فى السطور الجبانةِ
ينمو ...
على جُرْحه خنجرٌ
كل يوم.

- فمن يرفع القَيْدَ عن عُمْرِه ؟

- لا يَفُكُّ إسار الحبيب سوى الحُبِّ .
كان يُفتِّش فى قا ع صمتى
عن البحرِ
والجُزُر النائياتِ
ويسألنى كلَّ يومٍ
سؤالا حزينا،
وكنتُ أفِرُ بنفسى بعيداً
عن النار فى صوتهِ،

كان مُنْتَفِخًا كالشراعِ
بِحُزْن غريبٍ،
وكنتُ رقيقًا كفنجان
شاى، وحين أدانوه بالحُبِّ
هذا الفتى ،
صرتُ منتفخًا،
كالشراعِ
بِحُزْن غريبٍ

- تَعَلّمتَ منه الكثير ؟

- لقد كنتُ مثل تراب الحديد فمغنطنى.
صرتُ كهلا
له عُمْرُ نوحٍ ، وكنتُ
بريئًا كعُشِّ اليمامِ
فَعَرَّتْ لى الأرضُ
عَوْرَتها ..

صار قلبى مظاهرةً يهتفُ
العاشقون بها ·

يازمان الموت شَرِّدْنا
فقد جاع الصغارْ
يازمان الموت قد ألقوا
إلى النار الكبارْ

ثم أسندتُ ظهرى
إلى حائط الثورةِ
المستكنة كالنارِ
فى الصخر، كالماءِ
فى العشبِ، كالجنس فى الَحبِّ،
هل ذقتَ طعم ارتمائكَ
فى حِضْن أنثى تحبكَ؟!.

قال بسخرية :

حين ضاق المُرَتَّبُ بالُحبِّ
لم تبق غير المجلاتِ
كى نتزوج نسوتها العارياتِ.

(أدار فتى أسودُ الشَّعْرِ
زرَّ الجهاز، فأسكت ضحكتها
فجأة، وتجمَّعَ من بقع
الضوء إعلان سيارة من
طراز حديث، فأرجعها فى
وقار أنيق تحدثنا عن كفاح
السنين الخوالى)

طريقُ المحطة يَزْحَمَهُ العائدون،
أفتش فى أوجه الطالباتِ
لعلك طالبةٌ
حملتْ فى حقيبتها
ورقا

لعلك فى بطن حُبْلى

تمرين ساخرةً

من جنون انتظارى

لعلك عاملةٌ فى محل بعيدٍ

تعودين فى آخر الليلِ

منهكةً..

حين يسهو بشعركِ

نجمُ الكلامِ

ويسقط فوق لسانى

وألمح عابرة فى الطريقِ

فأتبعها

حين يهجرنى الخوفُ

أصعد سُلَّمَ منزلها

كاتما نَفَسى

~~من غصون النهارِ~~

ثم أطرق بابا، ويبرزُ

وجهٌ غريبٌ

أليفٌ...

ويخطفنى من دمى نِسْرٌ

عينينِ ضاحكتين، يبعثرنى

فى اتساعهما

إنها أنتِ،

لا يعرف البَرَّ إلا

شراعٌ

شريد.

مايو ١٩٧٧

مجـنون ليلى

الأرضُ نفْسُ الأرضِ
مازالتْ..
ولم تَزَلِ البحارُ
زُجاجةً
مملوءةً بالرملِ
والسُّفن الغريقةِ.
كل من جاؤوا إليكِ
تحيَّروا،
هل ذلك المطرُ
المسافرُ من أصابعكِ
النحيلةِ،
كان وهمًا
عابرا ؟
أم أن أحزان الرجالِ
تكاثفتْ
فى مركز الأرض السحيقِ
فليس يُدْركها

مَطَرْ.

الأرضُ نَفْسُ الأرضِ
ما زالتْ ، وماءُ
النهر نَفْسُ الماءِ، هل
وقف الزمانُ
هُنَيْهةً ؟
فتجمدتْ فى الأُفْقِ
جُمْجُمةٌ بحجمِ
الكونِ
أبصرَها ..
إذا انكشفتْ دكاكينُ
المدينةِ
عن صباح باردٍ
وإذا نظرتُ خلالَ
نافذة القطارِ
وإن تَوَتَّرَ ذلك الألمُ

المُمِضُّ بأعينِ الخِلّانِ
في ليل السَّمَرْ.
الأرضُ نَفْسُ الأرضِ
مازالتْ...
وها أنا
صِرْتُ مجنونًا
أدِّونُ في مُفكرتي
ملامحَ وجهكِ المنسِيِّ ،
عِنوانَ الإقامةِ
رَقْمَ هاتفك الجديد ، وسامحيني..

(كلما حَدَّقْتُ
في هذا الفراغ
تَشَكَّلَ الوَجهَ المراوِغِ ..
صار أبيضَ،
صار أسمر فجأةً،
حتى اخْتَبلتُ فسامحيني .)

أنتِ في دمعي
كتابُ الحزنِ ، بين
أصابعي دفءُ خياليٍّ ، وفوقَ
كآبتي وردٌ
تَفَتَّح في قميص الحُبِّ
أسألهُ السلامةْ
يابِنْتَ عُمْري ...
يايمامةْ
يا كبرياءَ النَّخْلِ
يا زمنَ القيامةْ
جاع السبيلُ إليكِ ،
هل تأتين ؟
هل تلتف حول نُحولةِ الخَصْرِ
الذراعْ
هل أنحني لألُمَّ شَعْرَكِ ؟
بعدما عبثتْ به

الريحْ الحرونُ ، وآشعلتْ
من حُسْنِكِ الوحشىَّ
تَنُّورَ الجياعْ
هل أرتمى ...
فى ثروة النهدين عامًا كاملاً ؟
حتى يعود إلى العروقِ
دمى، وحتى تُفْلِتُ الشَمسُ الشُّعاعْ
وأقول فى شجن التواصلِ
أدفئينى.

ألقاكِ كيف ؟
دمى يغمغم بالكلامِ
كأنه بئرٌ ،
وحزنى قلعةٌ ،
تكبو
على أبوابها الخمسينَ خيل المركبات
الضائعةْ

إني عبدتُكِ وَقْتَ أن
كفرتْ بك الدنيا
وأطلقتُ الطيور إلى
فضائك ،
ياسمائى السابعةْ

وحفرتُ فى أعضائك البيضاءِ
جسمى ،
لا تقولى : أنتَ أنتَ ،
فقد حَلَلْتُ بكل جزءٍ ،
صار وجهى وجهك الدانى
البعيدَ
وصار صوتى
صوتكِ الفضىَّ
حين يدقُّ
فى جَوْف السكينةْ

صَفْصافةُ الذكرى تُظَلِّل خاطرى
لا تمسحى عن جذعها
إسمى ، فإنى
نابتٌ كالضوء فى
نخل النهار،
مقيدٌ كالدمع فى مُدُنِ
العيون الواسعةْ

لا تبدئى بالهجرِ
سلْطانُ الغرام أنا
ومِلْحُ البحر فى شفتى
وإن طال التمنعُ
صُغْتُ من عشقى فُتوحاتٍ
ومن شعْرى
سفينةْ
ونزعتُ عن لحمى

محار الصمتِ

كى ألقاكِ يوما فوق

خارطة البكاءِ

تحدقين إلىَّ

كالشمس الحزينةْ

وأنا أقومُ مُمَزَّقا كفنى

صليبى ،

رافضا كل النهايات التى

صدأت كسكينٍ ، يحُوِّمُ

صوتى آلاتى كطير البحر، مُبْتلَّ

القوادم بالسماءِ،

أقيم عدلا آخرا

وأقيم كونا آخرا

وأقيم إنسانا جديدا

أبعث النار التى خمدتْ ،

واستسقى السحاب

وأظلُّ فى سَفَرٍ إليك يَضُمُّنى
بلدٌ ، وتطردنى
عن الأسوار بلدانٌ ، لأنكِ
فوق جلدى
خاتَمُ الفوضى
إذا ما أبصرته الجندُ...
أطلقتَ الرصاصَ ،
فخبئينى فى خيام الضوءِ ،
فى جرس الحناطير ،
انثرينى فى المدى بلورةً
تمتصُّ ذرات الضبابْ

فلقد رأيت الماء يبكى فى صنابيرالمدينة ،
خِلْتُ أن
الليل لا يرضى سوى بالليلِ،
والموتى يهزُّ رفاتها شَوْقٌ

إلى كفنٍ
فأخفيتُ الفجيعةَ فى حقائب
نسوة الميدانِ
ثم مضيتُ مقلوعًا كورد الشمسِ
أخشى أن يرى
ظلِّى على المرآة ُمنْشَطِراً فتنبحُ
خلف آثارى الكلابْ

ورتَقْتَ أشلائى بحبك ، صرتُ
ياليلى مياه النهر، رائحة الخبزِ،
نداوةَ الأرض الطرية ،
صرتُ هذا الحاضر المخطوفُ ،
نافذةَ الأحبة ، همَّ
كل الناس، دمعا
فى المآقى نابتا.

ماعاد غير الشوق يحرثنى بمحراث الجنونِ

فربما إن جئتِ أسقط فى ذراعكِ
ميتا.

فبراير ١٩٧٦

النهر القديم

قمرٌ من الأسفلتِ..

أم حَقْلٌ من الحِنْطَةْ ؟

أم مَوْقدٌ خابٍ بلا أخشابْ

أم مُهْرةُ المطر التى تعدو

خلال الغابْ

حُبْلى بنار البرقْ

جاست خلال شجيرةِ الظَّمأ الخريفيةْ

أم أنت جِنِّيةْ ؟

حلَّت ضفائرها

ونامت فى سرير الشرقْ

أم أنت أقدامُ الرِّمالِ تَدُبُّ فى التربةْ ؟

تمشى..

وكلبُ الموت يتبعُ ظِلَّها

والصمتُ والرهبة.

عيناكَ حَمْلَقتا

فلم أعرفْ..

عيناكَ مُبْصرتان

أم أعمى ؟

والحبُ إعصارٌ

وسكِّينٌ

وفمٌ يُفَتِّحُ فى دمى حلْما

مجموعة تنشد:

طبـــــــــولُ الحـبِّ فـى الـوادى

تــدقُّ وتــلــك أيــديــنــا

تَـزُفُّ الأســـــمــــر الـغــــادى

وتـغــــمــــره قــــرابيـنـا

صوت فتاة:

تعال إلىَّ يا حابى

وَبَلِّلْ طرف جلبابى
وخذنى وردة ظمأى
فإن الموت أولى بى

مجموعة تنشد:

تنام حقولنا الليلةْ
على وعدٍ وميعادِ
لتمنح جيدَها قُبْلَةْ
وَتَ غْ ُ رهُ بأورادِ

يتبع ←

فوتوغرافيا

يتدفق النهرُ القديمُ من الجنوب إلى الشمالْ

متدافعًا فوق القرونِ

ومُمْسكا سيفاً

ومطعونا بسيفْ

الشمسُ تعبرهُ

وتلقى وردةً فى مائهِ

فيفيضُ فى السَّبْع العجافْ

ويطوفُ مابين الشقوق مُلثَّمًا

بدمائه الخضراءِ

مَيْمون الطَّوافْ

ويمرُّ عامٌ

بعد عامٍ

بعد عامْ

فإذا بلحيته تطولْ

وعموده الفقرىُّ يصبحُ

مثل قوسٍ...

(كان فى يده القديمةْ)

وإذا به شيخٌ

وقورٌ

طيبٌ

لا يطرق السُّبُلَ القَصِيَّةْ

ويخاف إن هَزَّتْ رياحُ الفجرِ

أبوابَ المدينةْ

فيضمُّ مِعْطفهُ

ويمضى عابسًا فوق الطِّوارْ

يرنو إلى الأشياء فى سُخْرٍ

وينظر فى وجوه العابرينْ

لكنه ينسى

فيسعلُ سَعْلَةً

ويمدُّ كفا بالسؤال.

مشهد من اللقاء

حبيبتى.. لا تحزنى

فقد أتيتُ جائعا إليكِ

بعد صوم عامْ

أتيتُ جائعًا

أدبُّ فى معابر الظلامْ

مُخَلِّصًا مائى

ومنبعى القديمْ

مُخَلِّصًا روافدى القديمةْ

وحاملا فى جسدى

روائح العصورْ

– ياصاحبى

جلستُ قُرْبَ صدركَ العريض صامتةْ

مفتوحة الساقين كالدلتا

ومثلها أنام ميتةْ

أحلمُ بالورود حول ثديىَ الملىء نابتةْ

أحلم بالشجرْ

أحلم بالمنىِّ والسحاب والمطرْ

بساعد النَّهَرْ

مطوقا خصرى

ومُمْسكا يدى

وتاركا فى رحمى

لدونة النطفة حين ترتوى من وجعى

ومن دمى.

– لقد أتيتُ ياحبيبتى الحزينة المُشَتَّتَةْ

أتيت ياحبيبتى الهاربة المُنفلتةْ

– لكننى يافارسى مازلت مقرورةْ

مفتوحة الساقين مقهورةْ

وسُرَّتى على الرصيفِ

وردةٌ مُفَتتهْ

يزنى بها الصقيع والظلام والخطرْ

يزنى بها السعال والجذام والسهرْ

فهل تجىءُ بعدما زنيتُ ،

بعدما بكيتُ ،

بعدما انتهيتْ ؟؟

- لا تغضبى ...

فقد حملتُ فوق منكبى

عباءةَ الرجولةْ

تدثرى بها إذا أتى الشتاءُ طارقا

على ذراعك الجميلةْ.

- ياطالما أتى الشتاءُ طارقًا

وكنتُ ملقاةً بلا باب ولا بوابْ

وكنت أشتكى إلى الرياحِ

عَلَّها تعود بالجوابْ

وتنقضى مواسمُ الَلقاح دُونما لِقاحْ
وتهجرُ الطيورُ ساحتى
ويرحلُ الصباحْ
وبعدما اشتعلتْ وانطفأتُ
أياما طويلةْ
عرفتُ أنها الكهولةْ

كلمات من ذاكرة النهر القديم

تنكرنى الضِّفافُ والجزائرْ
والسَّمَكُ المهاجرْ
تنكرنى الجسورُ والسدودُ والقناطر
(ياقادما من الجنوب كيف مت ؟)
تنكرنى الأشجارْ والأطيارْ والأزاهرْ
تنكرنى الشقوق والصخور والمعابرْ
(كلب يبول فوق ضِفتى.)

تنكرنى الأهرامُ والفسطاطُ والمنائرْ
تقول فى سخريةٍ .
(يا أيها المغا....مر!!)
ويبصق الزمان فوق جُثَّتى
أنا الذى...

(ياقادماً من الجنوب كيف مت؟)
(ياراحلاً إلى الشمال كيف مت؟)

يطفو على ظهرى حمارٌ مَيِّتُ
ويقذف الرجالُ أعقابَ السجائرْ

أخذتُ منها طفلها النبىْ
داعبتهُ..
حملته على يدىْ
وعندما بكى ابتسمتُ
ماسحًا جبينه المضىء بالبشائر

(ياأيها المغا..مر!)

حبيبتى .. لاتحزنى

لأننى قتلت مرتين

لأننى هزمت مرتين

لأننى انتحرتُ مرتين

أتيتُ قابضا على دمى.

أَلْقَتْ إلىَّ نفسها

فاتنةً مُزَوَّقةْ

حمامةً مُطَوَّقةْ

شممتُ وَسْطَ شعرها

رائحةَ القَرَنْفُلِ المُحَلِّقَةْ

لمستُ خدَّها

لمستُ بطنها

لمستُ جيدها ونهدها وفخذها

وشُفْتُها

وبعدما تحلَّلتْ فى دمىَ الجائع وامتصصتُها

في داخلى...

تكامل الطمىُ

وماءُ النيلِ والسَّمَكْ

تكامل البُرْجُ

وشوقُ الناسِ

والفَلَكْ

– بتاحُ.. هل سمعتْ ؟

– ماذا جرى ؟

– النهرُ قصوا شاربهْ.

– ماذا تقولْ ؟!

– النهرُ قصوا شاربهْ.

– النهرُ قصوا شاربه ؟!

– أجلْ

– وكيف ؟!

سطا عليه قائدُ الهكسُوس

وكان قادما من الشرقِ

على مركبة حربيةْ

متجها إلى أواريسْ

عندئذٍ..

أمكنه أن يلمح النهر القديمْ

مزركشاً

مُدَنْدَشاً

فاستوقفهْ

طالبه بالجزيةْ

لكنه رفضْ

فأمر الجند (مُهَدِّدا بسيفه البرونز)

أن يوثقوهْ

فأوثقوه بالحبالْ

وربطوه فى الجذوع الخاويةْ

وبعدها

جاءوا إليه بالمقصِّ

ثم قصُّوا شاربهْ.

قبلتُها .. فابتعدتْ

تعثرتْ فى لحيتى الفضِّيةْ

سألت عنها حينما افتقدتها

فقالت الرياحُ..

بينما تدور فى البَرِّيَّةْ :

تكون يا صديقنا

أو لا تكون

تلك..

هى القضية .

نوفمبر ١٩٧٢

أغنية حب ..
إلى وردة الأسمنت

تتدفقين، وكان وجهُك صامتًا

من فَرْط ثرثرة الملامحِ

والقطاراتُ التى تأتى

من المجهول مارقةً

على الجسر القريب، تذوبُ

فى سعة المدى

وتُخَلِّفُ الألم الخفىَّ

وتُوقظُ الحزن المكابرَ،

ثم تُنْبتُ وردة الأسمنتِ

فى ثدييكِ حارقةً

فترتعشين، يَحْمَرُّ الفضاءُ

ويسقط البلحُ السَّمانىُّ المُدلَّى

من نخيل الجوع

يترك فى دوائر كفكِ البيضاءِ

مَلْمَسَهُ

ويرحلُ فى مَسَامِّ الجلدِ

نَحْلا لاسعا

ودما غريبا

تاه بين مسالك الجسد الذى

شَقَّتْ به شمسُ الظهيرةِ

مَنْفَذا للموتِ

هل هذا السكونُ دمٌ تَخَثَّرَ

فوق سكينٍ؟

أم الأهدابُ حُلْمٌ

فى سديم الشوق يرتقبُ

الجنونَ؟ ويستديرُ

خلال ضوضاء المياهِ

وَوَسْطَ رائحة البكورِ

مغامرا

ومسافرا

هل أعشقُ الحزنَ المُعَشِّشَ فى

قميصك مثل أسراب اليمامِ؟

أم الهوى المكتومُ فى شفتيكِ

آغانى؟ لأرسم فيهما
عطشى وجُوعى
كى أعودَ كما يعودُ النهرُ
والسَّمَكُ المهاجرُ
والحصانُ المتعبُ الساقينِ
"فاطمةُ" ينادى رَيِّسُ
الأنفار من شقٍّ التراب
المستطيلِ، فتنحنى
سقَّالةُ الشوق المسافرِ
يُصْبحُ المطرُ المُعَّبأُ فوق
رأسك قريةً،
والحزنُ جُرْنا ،
يصبح الجلبابُ ساقيةً
وإبريقا
وخبزا
تترك العرباتُ فوق الجسر آثارَ
الإطارات الجديدةِ،

ثم تخطفُ من ضلوعكِ

صيحةَ الطير المهاجرِ

تمزجُ الثديين فى سعف النخيلِ

وفى جذور القطنِ

والعَبَّادِ،

والورقُ المُهَشَّمُ تحت أقدام

البنات يطير عاصفةً

على شِقِّ التراب المستطيلِ

وأنت ترتعدين فوق

الشِقِّ، حين

تَوَتَّر الظهرُ المقوَّسُ قاذفًا

فى ظلمة الأرضِ

اللُّهاثَ،

ويستقيمُ الظَّهْرَ ثانيةً،

ويهدأ بين جنبيكِ

الحنينُ ، يسيلُ فوق

بياض ثديك خِلْسةً

عَرَقُ خفيفٌ..
يمسحُ الآلمَ المخبأَ فى
نسيج الطرحة السوداءِ ،
يُفْلِت آهةً ،
وتُحدِّقين إلىَّ فى
جَزَع السحابةِ
حينما أبصرتِ فوق ملابسى
بُقَعا من الأسمنتِ
طارتْ منكِ
راسمةً خطوطا فوق صدرى
لونها لونُ الرصاصِ
وتستدير تصير نخلا
طالعا فى رقعة الروح– الفراغ ،
وتستديرُ
تصير ساقية ،
وإبريقا وخبزا.

نوفمبر ١٩٧٤

الخـروج

يَضُمُّنَا القطارُ ساعةَ الصباح جُثتينْ

وساعةَ الأصيل جُثتينْ

أراكَ من زاوية العين جريدةً مطويَّةْ

ورايةً منكسةْ

وكلما حدقتُ فيك صاحبى

أبصرتُ قنديلا بلا زيتٍ،

وأرضا يابسةْ

/أبصرتُ وجهَكَ الذى يضيع منى

فى محطات القيام والوصول

من غير أن أقولَ (حينما يهزنى الحنينُ للكلامْ)

شيئًا

وحينما يَهُزُّنى الحنينُ للسلامْ

أو الحنينُ للبكاءْ

أو الحنينُ للمسامرةْ

وعندما ارتميتُ فى الطريق فجأةً على يديكْ

قتلتنى

قتلتنى

فانغرسَ السكينُ

فى جبينكَ الصغيرْ

اسكتنى...

فلم أنمْ

ولم تنمْ

وضمنا

أنا وأنتَ

فى مزابل الطريقْ

قبرٌ بلا شاهدْ.

ياقاتلى المقتول من أغراك بى ؟

يا من دسست السُّمَّ لى

فقتلكْ.

الرملُ صَارَ كعكتى

والصمتُ صارَ كعكتى

والموتُ صار كعكتى

وحينما بشمتُ متَّ أنتْ

متنا معا

متنا معا

أنا...

وأنت.

أخرجُ من جلدى

ومن ملابسى القديمةْ

أخرج من ملامحى

وطول قامتى ولون شعرى

أخرج من طريقة انفعالى الكظيمةْ

أخرج من صَبْرى

ومن نفاد صَبْرى

مُنْطَفئا كأننى الشهابُ

مُرْسلاً كأننى الشجرْ

أخرج من عمرى الذى يسيلُ أياما بلا معنى

كما تسيل فوق منحنى الطريق دفقةُ المطرْ

أخرج من حبى مشردا
وحاملا كالعاشق العظيمِ
قلبىَ الذى انتحرْ
أسيحُ درويشًا
يفتشُ السحابَ عن ماءٍ
وينشر الخبرْ.
فهل ترى ..
إذا أتيتُ عاريا حتى العظامِ
جائعًا ..
حتى قرارة القرارْ
أكون قد بدأتُ حيثما انتهيتُ ..
واكتسيتُ
من ملابس الخَطَرْ ؟
أم أنه رمل زمانىٌّ
يثور مابين الجفونْ
ويزرع اليقين بالظنون.

١٩٧٤

الصبور

آبحثُ يامدينتى
عن طائرٍ يحملُنى
عن خنجرٍ يذبحُنى
أغنيةً بلا طبولْ

أبحثُ يا مدينتى
عن مطرٍ يُنْبِتُنى
عن شاعرٍ يهُزُنى
على مشارفِ الخروجِ والدخولْ

أبحثُ يا مدينتى
فى وجهِكِ الصخرى عن ملامح الجنونْ
لعلنى أضيعُ فيها مرةً ..
أو مرتين
لعلنى أُجَنّْ
لعلنى أجئُ فى مواسم القبولْ
بمشعلٍ .. وفُلَّتينْ

وأرسمُ العبورَ فوق جسدى علامةْ
وأرسمُ القيامةْ

أبحثُ يامدينتى
عن صاعقٍ يضئُ بالشهادةْ
وجهى.. يُغيِّرُ الفصولْ
يشعلُنى.. بالكفر والعبادةْ
فأرتمى على دمى القديم
مُمَزَّقًا ألتمُّ وسط موجةِ الريادة
وأشربُ الشموسَ والنجومْ

أبحثُ يامدينتى
فى قلبكِ المطعون بالبكاءْ
فى صدركِ المخنوق بالوباء
عن شهقةِ الدماء
عن صيحةِ النباتِ فى البذورْ
عن كوكبٍ يدور

يلقى بصدرى كلما دنا
سهامَ النور
فأرتمى مُقبلاً يديكْ
وحين أسمعُ النداء
أقول يامدينتى لبَّيكْ
أقول يامدينتى لبَّيكْ.

٢٠ نوفمبر ١٩٧١

الدخول

سأجئ يومًا .. أحملُ البُشْرى إليكْ
وأقولْ كان الليلُ أعمى .. والسماءْ
خرساءَ والقمرُ الصغيرْ
يسرى فتخنقهُ السحابةُ مرةً..
ويضيعُ منها مرتينْ

وأقول كان الشوقُ مِسْمارًا بصدرى
كلما ناديتُ آه ..
رَدَّتْ مياهُ النهر والأرضُ البعيدةُ والجبالْ
والمسرحُ الخالى، ونورُ الشارع الليلىُّ،
والرجلُ الغريبْ
وأقولُ: كانت وردةُ الأيام ذابلةً
وأوراقُ الرياحْ
صفراءَ فى شجر الجنون
والبُلْبلُ الثرثارُ أَغْرتهُ العجوزُ الساحرة
فَدنا ..
ولقَّط حِنْطَةَ الخَرِس الطويلْ

من فوق خِرْقَتها،
ونَفَّضَ ريشَهُ،
وطوى الجناحْ
وغدا قعيدا..
أَبْلَهاً..
يخطو ..
فيضحكُ لارتعاشتِه القمرْ
والفجرُ حين يجيءُ
يعبره بلا ريحٍ
ولا صفصافةٍ في الماء تنظرُ
أو فضاء.

مَطَرٌ من الجمرات يسقطُ في دمى
والشوكُ أَعْطاني نصيبي
والصباحْ
يبكي على صوتي المُسَمَّرِ في توابيت الجراحْ
يجرى..

ويرشقُ فى ردائى وردةً،

ويجوسُ فى لحمى

وأعصابى

وفى صدرى الطَّعينْ

كالنَّار يملَؤُنى

فأشرق بالكلام وبالجنونْ

كالنهرِ يُغْرقنى

فأعرف للردى مُدُنًا

تدورُ الشمسُ فيها مُطْمئنةْ

أغدو بها طِفْلا ينام على جناح الموتِ،

يُطْعِمُنى رغيفَ النورِ

والمطر الملوَّنَ بالدماءْ

وأجئُ مُحْتَمِلاً من الأمواج أجراسًا

ومن عُشْبِ الظهيرة طُحْلُبا

ويفرُّ طيرُ الرُّخ من صدرى صغيراً أَزْغَبا

والبَرْقُ ينقش سُمْرتى

فى مُصْحف الغضب الجديدْ.

آنا قادمٌ
الريحُ معْطَفِى المُطرَّزُ بالحنينْ
والمستحيلْ
سيارتى..
وبطاقتى..
والشمسُ دارى
والمدى عينى
وأوراقى السمواتُ البعيدةْ
والليلُ مَحْبَرَتى
وأغنيتى جديدةْ
النارُ حرف صائتٌ فيها
ومدفأتي البشرْ.

مايو/ ١٩٧٢

قراءة البحار اليابسة

تَحَطَّمى..

تَمَزَّقِى

واحترقى

وداعبى قيثارةَ الجنونْ

ودمدمى

وانفلقى

من بذرةِ الفوضى

ومن سحابةِ اليقينِ والظنونْ

فعينك اليمنى أصابها النعاسْ

وعينكِ اليسرى..

أصابها الأَرَقْ

وها أنا

سيفٌ من الورقْ

وقبضةٌ من الأسى

ومُقْلةٌ من النحاسْ

لا تغضبى

فالموتُ فى تقاطع الطُّرُقْ

وفى زنابق الحدائقْ

والموتُ فى الأرحامِ والشَّرانقْ

والموتُ في الدفاترْ

والموتُ فى المحابرْ

الموتُ حَلَّ جُمْعَتين

حَلَّ ولم يسافرْ

لا تسألى عنى الطريقَ

فالطريقُ لا تجيبْ

وهذه الأشجارُ لا تجيبْ

والقلمُ الصامت لا يجيبْ

لا تسألى عنى الحمامةَ المهاجرةْ

لأننى .. ضيعتُها

لأننى علمتُها البكاءَ لا الغناء

وخُنْتُها

حين أَتَتْنِي تشتكى الصيادَ والسكينْ

تبحثُ فى صدرى الطعين عن ملاذها

لا تسألى عنى مداخلَ المُدُنْ
لأننى نسيتُها
حين تمزقت خريطةُ الزمان والمكانْ
تَعَطَّلَتْ سيارتى
على تقاطع الدخولْ
واشتعل الأسفلتُ من دمى الغريبْ
ووجهىَ الغريبْ
ولكنتى الغريبةْ.

الليلُ كان عابساً
وكنتِ عابسةْ
وفى الفضاء كانت الطيورْ
وكنتُ أقرأ البحارَ مرةً..
واليابسةْ
وكنتُ أقرأُ الأجراسَ والزهورْ
وأقرأ المحارَ والدلتا

ودمعةً مشاكسةْ
وكنتُ أقرأ الوقوفَ والعبور
وكنتُ جائعًا..
أردُّ جوعكِ الطويلْ
وأملأُ الجِرابَ من حدائق العويلْ
ومن حدائق الكلام والجنونْ
ومن حدائق الأكُفِّ والعيونْ
والليلُ يرتمي..
وها أنا
مُمَزَّقٌ هنا
أراكِ من خلال موتي..
ضَاحِكةْ.

إبريل ١٩٧٢

مذكرات جرح

يَتَوَضَّأُ الدمُ بالجراح، فَأَنْصِتُوا

للشمسِ ..

حين تحلُّ مِئْزَرَها

وتشهقُ في ضلوعي

للريحِ حين تصيرُ صاريةً ووردا

فوق يابسةِ السنينْ

للموت حين يفكُّ شَفْرَتَه ويمسحُ

وجهَهُ الرمزىَّ فى أصلِ الجذوعِ

للنار حين تصير زنبقةً تفتِّحُ فى شرايين الجنينْ

إنى أغنىِّ

فاسمعوا صوتى المُنقِّبَ فى خليج الجسمِ

عن عُشْب السقوطِ، ونورسِ الأرض الجديدةْ

• •

للبحر أسماء كثيرةْ

إسمٌ يوحِّدُ بين وجه البحر والجزر المنيرةْ

والمدُّ إسمٌ آخرٌ ..

شَبَكَتْهُ كَفُّ الريح فى السُّفن المغيرةْ

والموجُ أحرفُ اسمه المجدول حولى كالضفيرة

والموتُ من أسمائه المتفرقاتِ

ككومة الرمل النثيرةْ

والباقيات نسيتُها...

فتركتُ إسمى فى المياه كوردة البرق الأميرة.

• •

قلت الرياحُ عشيقتى

فغضبتَ منى

ورجمتَنى بالصمتِ

قلتَ : إليك عنى

وتركتَها فى الليلِ

تقرأ كفَّها..

وتسيرُ حافيةً

فهل تقعُ النجوم على شباكى؟

إنى احترقتُ فما عميتُ ..
وسِرْتُ فى طرق الهلاكِ
وكتبتُ للشمس التى ما شوهدتْ
إنى أراكِ..
ورحلتُ حول مدارها طفلا مُهاجرْ
البحر يعرفنى
وأعرفهُ
وتعرفنى الفصولُ الأربعةْ
والشمسُ عاشقةٌ يذوِّبها الحنينُ
فلا تُرى إلا مَعَهْ

.. ..

ياشمسُ، ياسَغَفًا وخاصرةً
ورسمًا في تميمةْ
ياخُبْزَنا المغموسَ فى جُرْح العيون المُطْفَأَةْ
هاتى أكاليلا من الضوء المغامرْ
وخذى حشائشَ صمتنا

المزروعِ فى أرض الجريمةْ
ياشمسُ ..
ياوطنَ الوعود المُرْجَأةْ

• •

من يُسْمُع العنقاءَ صَوْتى
من يرابطُ بين وجَهْى
والظنون الثائرةْ؟
من يُطْلقُ الفرسَ الأسيرةَ
من يدقُّ خلال هذا الليلِ
أجراسَ الجموع النافرةْ
من ينتشى بالموتِ
حين يصير منديلا
وفاكهةً
ونخلاً
وابتسامات حزينةْ

فلقد تناسلت الوحوشُ الكاسرةْ

ومضت ..

تُدخِّنُ فى الشوارع تَبْغَها

وتديرُ عينيها

لتوقعَ فى شِبَاك الصيدِ

أسماكَ المدينةْ

• •

آهٍ..

(تكسرت النِّصالُ على النصالِ.)

يأيها الليلُ المُطرَّزُ بالكلاب وبالجريمةْ

غَفَتِ العيونُ،

وها أنا

أمضى..

بقنديل الجراحْ

أسترجعُ الشجرَ الذى قد عاد تَوًّا للبذورْ

أسترجعُ المطرَ الذى قد عاد توا للسحابةْ

وأقول يا حجر الكآبة

قلبى ثقيلٌ ..

هل يفيد الشِّعْرُ للقلب الثقيلْ

وأقول يا زَمَنَ الكآبةْ

عُمْرى عليلٌ ..

هل يفيد الشعر للعمر العليل.

مارس ١٩٧٥

فرس النور

ياراسماً..

فى الرِّيحِ طَلْعَتَهُ الربيعيةْ

أقبِلْ ..

وهُزَّ دمى

وارفسْ بحافرك المُفَضَّض جَبْهَتى

واملأْ بطاقاتى

صُوَرًا لعينيكَ الحزينةِ

فى ليالى العارْ

وانْفُضْ بحنجرتى

قَمَرًا.. وشمساً تمسحُ العتمةْ

أطلقْ على عُمْرى سباعَ النارْ

لتطير بى..

حتى تخوم الويلِ

محمولا بلا رحمةْ

فترنُّ أيامى على جبل النحاسِ

وتُشْعِلُ الكلِمَةَ

جُزُرا .. من البرق المُعَبَّأ بالردى والنورْ

يا آتيا من باطن الأشياءِ
ينفخُ في الجياع الصُّورْ
مَدَداً..
وَعَفِّرْ بالسَّنا روحي
وأَنْزِلْ في يدي غَيْمَةْ
طال الطريقُ الوَعْرُ بين الفجر والظُلْمَةْ
وسمعتُ صوتا..
خِلْتُهُ مطراً على دربي
لكنما قد كان وَجْهُكَ يبتغي وطنا
فبكيتُ من فَرْط الحنينِ
وشُقَّة السَّفرِ
وعَلِمْتُ ليس سوى دمي
ترضى به ثمنا
فاحَلُلْ..
رضيتُ بقسمتي وضراوة الخطرِ.

• •

يا أيها الفَرَسُ المُنَوِّرُ هَزَّنى الخوفُ
وأنا أراكَ مُطارَدا
وسط الليالى السُّودْ
تبكيكَ ريحُ الفجر والصيفُ
والشمسُ والزهرَ الملوَّنُ
والمَدَى الموعودْ
شدَّتْ عليكَ خناجر الثلجِ
فَتَحَيَّرتْ عيناكَ من مرجٍ
إلى مَرْجِ
ووثبتَ فى الآفاق وثبتك الإلهيةْ
ياسارقَ النيران من قارورة الأسرارْ
يا مُشْعِلا شعر البطولةِ
فى دم الأمطارْ
ياعازفا ..
والأرض تسمعُ
والنخيلُ
وبيرقُ الثوارْ

كيف اللقاءُ بنارك الخضراءْ

وعساكرُ الشيطان تملأُ مُهْجَتى أرقا

وتمرُّ تقتلعُ الزهورَ

وتَسْقط الورقا

فى سَلَّةِ الليل الطويلِ

وتمسح الأشجارْ

بالجوعِ..

ثم تغيب فى رئة من الفَخَّارْ

• •

كانت خيامُ الكفر حولى

والطريق إليكَ فى سُبُلِ الهوى مقطوعْ

إلا طريقا صُنْتُهُ

فى صدرى العارى

سنينَ الجوعْ

لم تقطعِ الأحزابُ سِكَّتَهُ

ولم تعبره غير الريحْ

تسَّاقطُ الأعمارُ حول مداره المشبوحْ

أجتازهُ..

وسلامتى فى بَرْقة المخضوب بالحنَّاءْ

وأشمُّ خلف جباله ريحا من الجَنَّةْ

حاربتُ فوق رصيفه المحروقِ

واحتضنت دمائى

دهشةَ الميلاد والموتِ

وغرابةَ اللُّقيا بغول الحُبِّ

وسط مفازة الصمتِ

يأتى إلى مُهَرْولا

ويكوِّرُ الإعصارْ

فى جُعْبتى خبزا إلهيا

ويطعننى..

بالبرق ثم يَمَسُّ قلبى مُشْعِلا

ومعمدا بالنارْ

فأجئ ألتمسُ الطريقَ إليكَ تمنعنى

وثنيةُ الظلماءِ

والأنصابُ والكُفَّارْ

وأسُلُّ سيفكَ حول ماء الخندق الملآن بالرحمةْ

مُتجولاً بالحبِّ..

وسط مدائن الرعب الخرافية.

• •

عن وَجْهك الوهَّاج تَنْحَسِرُ الينابيعُ

وأراكَ بين سنابل القمحِ

ترنو..

فينحسرُ الردى والخوفُ والجوعُ

وأراكَ بين السيف والجرحِ

فى العُرْس بين الفتية الشَادين كالأطيارْ

مترقبين مشاعل الصبحِ

فى آهة الرجل الذى يبكى

ويموتُ بين القبض والمنحِ

فى آخر الأنباءِ

عن مدن بلا أَقمارْ

صُلِبتْ على خشب المغول بليلة الرعب الشتائيةْ
وأراكَ بين الصِّبية الفقراءِ
تُطعمهم رغيفَ النارْ
وتجوس بالصرعى..
إلى بوابة الفجر الرماديةْ
فى الليل..
تجرى بالبشارة والمزاميرِ
وتَغُطُّ ساقَ البلدة العرجاءِ
فى نهر الأساطيرِ.

سبتمبر/ ١٩٧٠
يناير/ ١٩٧١

شظايا من القمر الأسود

آتيتُ حمامةً هَزَّتْ جناحيها

على شَجَرِ الهوى

والتِّين والسِّكك الخرافيةْ

تَفَتَّحَ فى دمى وَرْدُ الجنون فقُبْلَتى نارٌ

وجَفْنِى مِزْوَدُ للدمعِ

والصور الربيعيةْ

ورُمْحُ الحُبِّ فى كبدى

يُشَرِّدُنى

خلال معارج الظُّلْمَةْ

ويرمينى جوادا مُسْرجًا

بالنور والكِلْمةْ

يُحَمْحم فى معابرها

فتصحو النارُ فى الأحجارْ

ويصحو الماءُ فى الآبارْ

وتصحو فى فروع السَّرْوَة الأطيار

وترتجفُ الرطوبةُ فى غيوم الفجر كالنسمةْ

وجئتُ إليكِ .. كان أبى

رقيقًا بيع فى سوق الأسى والجوعْ
على زنديه وشمٌ
من زهور الفقر والتَّعَبِ
وفى أحشائه ألمٌ
له نابٌ
يَعُضُّ على الحشا الموجوعْ
فيدميه..
ويشعلُ فى دمى
قيثارةَ الغضبِ
وكنتُ أراه ينتعلُ اللصوصُ دماءَهُ
فيصيحْ
بلا صوتٍ : تعالَ وَرَوِّ عُمْرى
إننى ظامى
تَحَطَّمَ ساعدى فَكُنِ الجبيرةَ
وافتح الأبوابْ
لريح الفجر والإعصار والبرقِ
وَكُنْ خُبْزًا بأفواه الجياعِ

ودمعةَ الصدقِ

وَكُنْ للرفض سكينًا

وَكُنْ شَمْسًا

تُقَبِّلُ حافةَ الشرقِ

ويملؤنى كلامُ الصمت بالأشعارْ

فأنزفُها..

على الورقِ.

تَحَطَّمَ مِشْعَلُ الأيامِ

فى كفيكَ يا أبتى

فلملمْ عُرْيَهُ المفضوحَ

وانفخْ فيه من رئتى

وخُذْ فى موسم الثلج الطويلِ

دمى ومِدْفأتى

وإن طال الطريقُ يدى

وأزوادى وراحلتى

فإنى قادمٌ

عَبْرَ الأسى
والرَّعْدُ فى شَفَتِى
أَقُصُّ حكَايةَ الأَفْعَى
وأَحْفُرُهَا على لُغَتِى

وجئتُ إليك يا سمراءُ.. كان الليلُ يفتح بابهُ
ليمرَّ منه الخوفُ والتعتيمُ والحزنُ
وآهاتُ تُدَوِّم فى الخلاء عريضةٌ
تخبو قليلا..
ثم يعزفُ لحنَها الكونُ
تركتُ زوارقى فى لجُهِّا دهرا
فألقتنى صريعا
ألقطُ الأصدافْ
على شُطْآن موتى .. أمتطى
عُمْرى بلا مجذافْ
قرأتُ كتابةَ الرعب الغريبة فى دفاترها
فرحتُ أمزِّقُ الأسدافْ

وكنتُ الزورقَ المكسور

والملاَّحَ والعَرَّافْ

أمدُّ يدى..

إلى شَجَرِ الخُصُوبَةِ

للدَّم اللَّزِجِ السخينِ

لضحكةِ الجَوْعَى

تُفَتِّحُ فى شرايين البِحَار كأنها قَمَرٌ

تدحرجَ فى مدار العُمْر

كأن عبورها وسط المحاقِ

نُجيمةٌ..

تطفو على ماء الدُّجَى

فى عُرْيها الخارقْ

تَعَالَىْ فى المساءِ

حبيبتى

فالقلبُ مَزَّقَهُ الحنينُ

وَهَدَّهُ السَّفَرُ

وهاتى من حصاد السُّحْبِ

ما يسخو به المطرُ
وهاتى وردةً حمراءَ أرشُقُها
على عُمْرى
لأضحكَ مِلأً فَجْرِكِ بالندى والنورْ
ولا أكفرْ
وأمسح غربتى
فى ثوبِك الأخضرْ

١٩٧١

المخاض

يامصرُ مَفْتونًا ولدتُ على يديكِ
يُفتِّحُ الإعصارُ فى شرْيان قلبى وردةً
ويبيحُ للمطر المقدَّس صدرىَ الشاكى الحزينْ
وإذا ظمئتُ امتدَّ فى دلتا عروقى
نيلُ عينيكِ الشقيةْ
فكأنما أحزانُكِ التى جَمُدَتَ كلوح الثلجِ
فى أعماق روحى..
شاهدتْ
نارَ الذى صلىً له موسى بسيناء النبيةْ
وكأننى ما ذقتُ يوما منذ أن مَخَضَتَنىَ الدنيا
غلامًا ميتًا حيًا
وحيًا ميتًا
طعمَ الذى تُعْطيه من شفتيكِ للجسد الطعينْ
وكأننى أهْوَى شوارعك التى قد أظلمتْ
هذا الظلامَ النورَ وانبعثت تقاتلْ
فتدبُّ فى الأوصال خَطْفةُ صاعقٍ
تسرى بأطراف الأناملْ

يامصرُ صام المسلمون على السويسِ
وأفطروا فى داخل الأرض الحزينةْ
فكأنما قام الحسينُ، تواصل الرأسُ القتيلُ
وجِسْمُهُ المدفونُ فى أرض العراقْ
ومشى.. كما تمشى الجداولُ فى أديم الأرضِ
أو تمشى القوافلُ فى غبار الحجِ
أو يسرى البُراقْ
وإذا الرمالُ تصير قنديلاً
وأحزانُ الرجال غمامةً
الريحُ تحملها بعيداً
خلف أهداب الجُفُونْ
والأرضُ.. خاصرةٌ تذوب بساعدى
فإذا بكيتُ بكاء جندىٍّ عنيدٍ
هَزَّ صدرى صدرَها حين احتدام الشوقِ
فى نَفَسٍ تردده الضلوعُ معا وتنقله الدموعْ
وأراكِ تغتسلين تغتسلين حتى شفَّ جِسْمُكِ
صار زنبقةً يُعَلِّقُها الجنودُ على بنادقهم

ويرتحلون فى صيف الردى والجوعْ
يا مصرُ كان الموتُ يمشى فى عروقى كاسحاً
كالسيل والسكين مجنونا ضريرْ
يمضى فتنفضُ الدماءُ كراية حمراءَ
نَكَّسَهَا الزمانُ على تراب اليأسِ
فى طُرُق الهزيمةْ
ويجفُّ نبعُ الشِّعْر فى شَفَتىَّ أعواماً طوالا
صِرْتُ أُعْيىَ بالكلام كأننى طفلٌ غريرْ
واليومَ حين أراكِ ترتعشين فى ماءِ
المخاض أصيحُ ما بين القبورْ
إنى ولدتُ فقيدوا تاريخَ ميلادى
على رمل العبورْ.

٧/١٠/٧٣

الوقوف على الركبتين

الشارعُ المحمولُ فى سيارة الظهيرةْ
يَخْلَعُنى...
كالجَوْرَبِ المثقوب ثمَّ
ينحنى..
يلُمُّنى من بعد ما انفرطتُ
وانشطرتُ وانحصرتْ
من بعد ما بكيت
من بعد ما خرجتُ أو عبرتُ
أو دخلتْ
من بعد ما صلَّيْتْ
يامستطيلَ الضوءِ بَدِّدْنى غُبارًا ناعمًا
واجْعَلْ دمى قطبا
لريح الكونِ
أو بابا لنور الشمسِ
أو شجرْ
ينمو على رُخام ضحكتى إذا ضحكتْ
فالعالم الذى يَلُفُّنى كأنه كفنْ

يمتد فى كل اتجاهٍ، ثم يستطيلُ تاركًا
حذاءَهُ وجَوْرَبَهْ
مُنْزَلِقًا فى بِرْكة الكلام ليِّنًا وباهتًا ولزجًا
العالمُ الذى تناسلتْ نجومُهُ
شموسُه، نساؤهُ
أوراقهُ، طُرُقهُ، مساكنهْ
حتى غدا تكوينه الرَّمْلىُّ حاضرًا
فى كسْرة الخبز، وفى كوب اللبنْ
العالمُ الذى يبيعنى بلا ثَمَنْ
يَرْمُقُنِى خلال نظارته الطبية المُلَوَّنَةْ
ثم يدير رأسَه وينصرف

لمن أردُّ هذه الإهانةْ؟
ومن أمدُّ فى عينيه إصبعَ الإدانةْ ؟
يا سيدى ..
ياسيدى المُعَظَّمُ المُبَجَّلُ المحترمُ الهمامْ
أقولها ..

لو كان يُجْدى عندكَ الكلامْ

ثم أعيدها عليك مرتين:

أنت الذى أطلقتَ هذا الوحشَ نحوى

أما أنا..

فإننى أسيرُكَ الأخير.

أقول للسحاب ياسحابْ

لا تمسك المطرْ

أقول للأنهار حين يورقُ العذاب

لتنشرى مظلةَ الحوار بين الماء والشَجَرْ

أقول للسبيل حينما يصيبنى الضجرْ

أَشْعلْ لِفافتى

وخُذْ ملابسى الثقيلةْ

وفُكَّ ربطةَ العُنُقْ

ولا تدعنى فوق ذلك الطِّوار أحترقْ

فقد تحدَّرَتْ...

على الجبين قطرةٌ من العَرَقْ

مسحتُها، والريحُ جافةٌ
تحثو على الرؤوس بالتراب
وتملأ الطريق بالورقْ.

لو قلتُ للموجة يا غزالةْ
لاتشردى..
فقد جعلتُ من صدرى سكنْ
ولتحملينى نحو شاطىء الوطن
سمكةً.. قارورةً.. رسالةْ
ولتذكرى فى البَرِّ ياغزالةْ
العاشقَ الذى قد هزَّه الشَّجَنْ
فسار فى المساء مُلْقيا حِبالَهْ
لكي يصيدَ من سماء الموت طائر الزمنْ
ويمسحَ الوجوهَ من ملامح النذالةْ

لو قلتُ أو لو أننى ما قلتْ
وبُحْتُ مرةً، وبعد ساعةٍ سكتْ

ثم انتفضتُ جائعًا

كما يجوعُ الطيرُ والشجرْ

وخفتُ مثلما يخاف الماء في الصُّنْبور

والترابُ في الحُفَرْ

فلستُ أعني أنني انكسرتْ

ولستُ أعني أنني ركعتْ

لكنني فقط

وقفتُ فوق الركبتين.

مايو/ ١٩٧٤

الجريدة عندما تضحك

من فورة المِدادْ

من فورة الأحمر والأبيض والأسودْ

من فورة الحركة - السكونْ

من فورة الموت - الجنونْ

من فورة الموضة والعُرْى وأوجه النساءْ

من فورة المباريات

وكرة القدم والأفلام والمصارعةْ

والكلماتِ المتقاطعةْ

من فورة الشعر الطويل والقصير والسوالفْ

من فورة المزايدات والمناقصات والقروض والمصارفْ

من فورة الآمال والأحزان والمخاوفْ

وصور القتلى وأوجه المشردين والمشوهين والجياعْ

من فورة الضياع

والساسة الكبار والصغار والضِّباعْ

من فورة الذبح الذى بلا قناعْ

تلتمُّ يوما أحرفُ الجريدة

تلتم مثلما تلتم أحرفُ القصيدةْ

تصير ضحكة وقبلة وقصة جديدةْ

تقول آن كلبا من كلاب الأرض ماتْ

١٩٧١/١١/٢٩

لا تنكرنـــي

حين أجيئُك ... ثوبى مِزَقُ

وفؤادى مَقْروحُ عانٍ

ودمى يَطْفَحُ بالصَّمْت

برمال سوداء تُعَقِّرُ عُمْرى

لا تنكرنى

حين أجيئُكَ أَعْمَى...

وَسْطَ العُمْيانْ

عُكَّازى يَدْفعه فى الدَّرْب ذراعُ الشيطان

مقرورا ... جوعان

محزونا ... عطشان

لا تنكرنى..

حين أجيئُكَ .. مَوْسُومٌ زِنْدى بالنارِ

أُخفى عن أعْيُنكِ النفَّاذة عارى

فأقِلْ فى عَتْمةِ هذا الرُّعب عَثارى

واسترنى - يا أنتَ - ولا تنكرنى.

حين آجيئك أبحثُ عَمَّا سرقته الأيامْ
عن لحن يطويه الكتمانْ
وترى بجبينى ما خلَّفه النُّكْرانْ
لا تنكرنى..

فبحار الرمل طوتنى،
والزورق تاه.

١٩٦٧/٢/١١

لو كان الموت طريقي لك

لو كان الموتُ طريقى لكْ
نافذتى..
أبصر منها وَجْهَكْ
لأتيتُ..
وقلبى يهتف حَيًّا بالأملِ
يهتزُّ بأشواق الأزلِ

لو تُهْتُ بهذى الأرض الملعونةْ
لو ذئبٌ مسعورٌ..
قابلنى فى دربى
إن لم تحملنى ساقاى إليكْ
ماذا أفعلْ ؟

أفراحُ الدنيا
لن تُلْهِيَنِى عن فَقْدِكْ
أعوامى العشرون ستأكلنى
سأشيخ وتصلبنى الأيامْ

ستعلقنى أيامى
فوق صوارى الليلْ
ليس شهيداً..
بل كالكلب المقتولْ
وستملأ أنهارى جُثَثُ الموتى

ولأنكَ أمى وأبى...
سأعيشُ يتيماً فى هذا التِّيه
وسأرضع سُمًّا من ثدى العالمْ
أتهاوَى فى الطرقاتِ ، أضيعْ
وربيعى...
لن يغدوَ فى العُمْر ربيعْ
وسيضربُ حتى الموتْ
فادْنُ منى...
قرِّبْنى.. يا أنتْ.

١٩٦٦/٣/١١

ضفيرة الظلام والقمر

يَدُقُّ على جدار الليلِ شباكُ
فأعلمُ..
وَسْطَ آلافٍ من الأصواتْ
بأنكِ جئتِ..
يُوقَدُ فى دمى قَمَرٌ
ويضحكُ فى نوافذ بيتك النورُ
ويبزغُ وَجْهُكِ المرسومُ
فى قلبى..
ضحوكا، باسه الفَجْرُ
وندَّاه الهوى..
والريحُ والأزهارُ والشِّعْرُ
يُطِلُّ دمى عليكِ ويورقُ الصَّخْرَ
وتَنْفَضُّ الليالى السُّود عن دربى
وأُبْصرُ فى عيونكِ
مَرْفأى ومنارتى
والزادَ والمِجْذاف والقاربْ
وأُبْصرُ فيهما خِلاًّ ..

أوافيهِ فيلقانى

صدوقا فى ليالى الجوع آخانى

وجئتُ إليك يا سمراءُ مقتولا

يتيمَ الأخ أبحثُ فيكِ عن صاحبْ

وعن كفٍّ تُساندنى

أرُدُّ بها خيولَ الرُعْبِ إن جاءتْ تُناجزنى

لتخطف روحى الجوعى..

برمح الخوف والنارِ

حدائقُ صدركِ المزروع بالفُلِّ

تدحرج فى مدار الحب شمساً

تمسح العتمةْ

وتطلقُ بُرْعُماً ينمو على كبدى

بفيض من جنى نهديك زهراً يشرب الغيمةْ

ويملأ سَلَّةَ الأشواق فى صدرى

فآه.. حين هذا الحسنُ ألقاهُ

فيغسل قلبىَ المحروقَ بالطلِّ

ويغمرني بنهرٍ فاض بالأشجار والظلِّ
أُستسقِ
فأهربُ من هجير العمر أستقي ينابيعكْ
وأملأ جَرَّةَ الأحزان من عَسَلٍ ومن خمرِ
لعلِّي....
حين أبصرُ مَصْرَعي في آخر الليلِ
أحدِّقُ فيه مُنْتَصِرا على رُعْبي
وأنهضُ .. حاملا سكين أيامي
وأغرسُها بِصَدْر نذالة الدنيا
وما فيها.

سبتمبر/ ١٩٧٠

القصائد

زفير المدينة 5
مجنون ليلى 21
النهر القديم 35
فوتوغرافيا 41
أغنية حب ..إلى وردة الأسمنت 55
الخروج 63
العبور 69
الدخول 75
قراءة البحار اليابسة 81
مذكرات جرح 87
فَرَسُ النور 95
شظايا من القمر الأسود 105
المخاض 113
الوقوف على الركبتين 119
الجريدة عندما تضحك 127
لا تنكرنـــــي 131
لو كان الموت طريقي لك 135
ضفيرة الظلام والقمر 139

قمر من الأسفلت..

أم حقل من الحنطة ؟

أم موقد خابٍ بلا أخشاب

أم مهرة المطر التى تعدو

خلال الغابْ

حبلى بنار البرقْ

جاست خلال شجيرة الظمأ

أم أنت جنية ؟

حلت ضفائرها

ونامت فى سرير الشرق